AYAAT ILM ACADEMY
أكاديمية آيات للعلوم الإسلامية

المستوى الأساسي

منهج اللغة العربية

للناطقين بها

الفصل الدراسي الرابع

لغة ٢٦٢

كتاب الأدب والنصوص

إعداد

د. عبد الله رمضان
أستاذ الأدب والنقد
جامعة المدينة العالمية - ماليزيا

الطبعة الأولى
١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٢ م

1 جملة من أمثال أبي العتاهية

جملة من أمثاله :

حَسبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيه الْقُوتُ ما أكثرَ القوتَ لمن يَمُوتُ

* * *

الفقرُ فيما جاوز الْكَفَافَا مَن اتَّقَى اللهَ رَجَا وَخَافَا

* * *

هى المقادير فَلُمْنِى أو فَذَرْ إن كُنْتُ أخطأتُ فما أَخْطا الْقَدَرْ

* * *

ما انْتَفَعَ المرءُ بمثل عَقْلِهِ وخَيْرُ ذُخْرِ المرءِ حسنُ فِعْلِهِ

* * *

إن الشبابَ والفراغَ والجِدَه مَفْسَدَةٌ للمرءِ أىُّ مَفْسَدَه

* * *

ما زالتِ الدنيا لنا دَارَ أَذَى مَمْزُوجَةَ الصَّفْوِ بألوان القَذَى

* * *

الخيرُ والشرُّ بها أزواجُ لذا نِتَاجٌ ولذا نتاجُ

* * *

من لك بالمَحْضِ وليس مَحْضُ يخبُثُ بَعْضٌ ويطيب بَعْضُ

* * *

إنك لو تَسْتَنْشِق الشَّحِيحَا وجدته أنتنَ شىءٍ ريحَا

* * *

والخير والشر إذا ما عُدَّا بينهما بَوْنٌ بعيدٌ جدا

---

2 أبو تمام يمدح أحمد بن المعتصم

وقال يمدح أحمد بن المعتصم :

إِنَّ الَّذِى خَلَقَ الْخَلَائِقَ قَاتَهَا ... أَقْوَاتَهَا لِتَصَرُّفِ الْأَحْرَاسِ (٦)

فَالْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قِرًى لَهَا ... وَبَنُو الرَّجَاءِ لَهُمْ بَنُو الْعَبَّاسِ (٧)

الْقَوْمُ ظِلُّ اللهِ أَسْكَنَ دِينَهُ ... فِيهِم وَهُم جَبَلُ الْمُلُوكِ الرَّاسِي

فِي كُلِّ جَوْهَرَةٍ فِرِنْدٌ مُشْرِقٌ ... وَهُمُ الْفِرِنْدُ لِهَؤُلَاءِ النَّاسِ (٨)

---

(٦) الأحراس : جمع حارس .

(٧) الأرض مبتدأومعروف مبتدأثان.وقرى خبر المبتدأ الثانىوالجملة خبر المبتدأ الأول.ومعروف السماء المطر . يقولان الأرض قوتها المطر. وأهل الرجاء لهم بنو العباس يحققون لهم مارجوا.

(٨) الفرند : رونق الشيء .

هَدَأَتْ عَلَى تَأْمِيلِ أَحْمَدَ هِمَّتِى وَأَطَافَ تَقْلِيدِى بِهِ وَقِيَاسِى (١)

وَالْحَمْدُ بُرْدُ جَمَال اُخْتَالَتْ بِهِ غُرَرُ الْفِعَالِ وَلَيْسَ بُرْدُ لِبَاسِ

أَبْلَيْتَ هَذَا الْمَجْدَ أَبْعَدَ غَايَة فِيهِ وَا كْرَمَ شِيمَةٍ وَنحَاسِ (٢)

إِقْدَامُ عَمْرو فى سَمَاحَةِ حَاتِم فِى حِلْمِ أَحْنَفَ فِى ذَكَاءِ إِيَاسِ (٣)

لاَ تُنْكِرُوا ضَرْبِى لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلاً شَرُوداً فِى النَّدَى وَالْبَاسِ

فَاللهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقَلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِن الْمِشْكَاةِ وَالنبْرَاسِ (٤)

غَلَبَ السُّرُورُ عَلَى هُمُومِى بِالَّذِى أَظْهَرْتَ مِنْ بِرِّى وَمِنْ إِينَاسِى

عَدَلَ الْمَشِيبُ عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ كِبْرَةٍ لَكِنَّهُ مِنْ يَاسِ (٥)

أَثَرُ الْمَطَالِبِ فِى الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا أَثَرُ السِّنِينَ وَوَسْمُهَا فِى الرَّاسِ

وقال يمدح الحسن بن رجاء :

لَمَا وَرَدْنَا سَاحَةَ الْحَسَنِ انْقَضَى عَنَا تَعَجْرُفُ دَوْلَةِ الإِمحَالِ (٦)

أَحيَا الرجاء لنا برغْمِ نوائب كثُرَتْ بِهِنَّ مصَارِعُ الآمَالِ (٧)

---

(١) يقول : ان همتى استقرت بعد أن أملت أحمدبن المعتصم ، وتقليدى للناس فى السعى اليه وتجاربى حققت آمالى .

(٢) تقول : أبليت فلانا نعمة اذا أسديتها اليـ و نحاس : الشيمة والطبع .

(٣) هو عمرو بن معد يكرب ، وحاتم الطائى المشهور بالكرم ، واياس بن معاوية كان قاضيا بالبصرة ، والأحنف بن قيس سيد بنى تميم .

(٤) اشارة الى الآية الكريمة « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » .

(٥) يقول : ان مشيبى تحول الى شباب ولم يكن مشيبى من كبر ولكنه من يأس ، فلماقصدتك زال همى ووقف المشيب وسلكت طريق الشباب .

(٦) التعجرف : التكبر . الامحال : الجدب .

(٧) مصارع : جمع مصرع : وهو الموت ، والمراد عدم تحققها .

3 الحسن بن سهل

(٣) الحسن بن سهل [٧]

كتب إلى محمد بن سماعة[٨] القاضى يسأله اختيار رجل ليقوم ببعض مَهامه :

أَمَّا بَعدُ ، فإنِّى احتَجْتُ لِبَعْض أُمُورِى إلى رَجُلٍ جَامِعٍ لخصَالِ الخَيْر ، ذِى عِفَّةٍ ونزَاهَةِ طُعْمَةٍ[٩] ، قد هَذَّبَتْهُ الآدَابُ ، وأَحْكَمَتْهُ التَّجَارِبُ ، لَيسَ بظَنِينٍ[١٠] فى رَأْيِهِ ، وَلَا بمَطْعُونٍ فى حَسَبه . إن اُؤْتُمِنَ على الأَسْرَارِ قَامَ بها ، وَإِنْ قُلِّدَ مُهِمًّا من الأُمُورِ أَجْزَأَ[١١] فِيهِ ، لَهُ سِنٌّ[١٢] مَعَ أَدَبٍ ولسَان ، تُقْعِدُه الرَّزَانَةُ وَيُسَكِّنُهُ الحِلْمُ ، قَدْ فُرَّ[١٣] عن ذَكاء وفِطْنَةٍ ، وَعَضَّ

---

(١) المحجة : جادة الطريق .
(٢) العثرة : السقطة والزلة .
(٣) المغبة : عاقبة الشىء .
(٤) أقل الشىء : أتى بالقليل منه .
(٥) عاود الرجل : رجع الى الأمر الأول يقال عاوده بالمسألة أى سأله مرة بعد أخرى وعاودته الحمى رجعت اليه .
(٦) التقدمة مصدر قدم الشىء تقدمه . يريد أن ليس له عنده بعد أن قدم له النصيحة الا أن يعاقبه
(٧) الحسن بن سهل : هو وزير المأمون وصهره (أبو زوجه بوران) توفى سنة ٢٣٦ هـ .
(٨) محمد بن سماعة القاضى : هو من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة . توفى سنة ٢٢٣ هـ
(٩) الطعمة بضم الطاء وسكون العين : وجه الارتزاق والمكسب ، يريد أنه لا يبتغى المال من طريق الحرام ولا من خسيس السبل .
(١٠) الظنين بفتح الظاء : المتهم : يريد أنه لا يصدر الرأى عن الميل والهوى .
(١١) أجزأ فى الأمر كان له كفئا وقام به على خير وجوهه .
(١٢) السن هنا : التقدم فى العمر .
(١٣) يقال : فر الدابة يفرها (من باب نصر) . كشف عن أسنانها ليعرف كم بلغت من السنين : يريد أن الاختبار والتجربة كشفا عما فيه من الذكاء .

على قَارِحَةٍ[١] من الكَمَالِ . تَكْفِيهِ اللَّحْظَةُ ، وَتُرْشِدُهُ السَّكْتَةُ . قَدْ أَبْصَرَ خِدْمَةَ المُلُوكِ وأَحْكَمَهَا ، وقَامَ فى أُمُورِهِمْ فَحُمِدَ فِيها . لَهُ أَنَاةُ[٢] الوُزَرَاءِ ، وَصَوْلَةُ[٣] الأُمَرَاءِ ، وتَوَاضُعُ العُلَمَاءِ ، وفَهْمُ الفُقَهَاءِ ، وَجَوَابُ الحُكَمَاءِ . لَا يَبِيعُ نَصِيبَ يَومِهِ بِحِرْمَانِ غَدِهِ . يَكَادُ يَسْتَرِقُّ[٤] قُلُوبَ الرِّجَالِ بِحَلَاوَةِ لِسَانِهِ ، وَحُسْنِ بَيَانِهِ . دَلَائِلُ الفَضْلِ عَلَيْهِ لَائِحَةٌ[٥] ؛ وَأَمَارَاتُ العِلْمِ لَهُ شَاهِدَةٌ ، مُضْطَلِعاً[٦] بما اسْتُنْهِضَ[٧] ، مُسْتَقِلاً[٨] بِمَا حُمِّلَ ، وقَد آثَرْتُكَ[٩] بِطَلَبِهِ ، وحَبَوْتُكَ بِارْتِيَادِهِ[١٠] ، ثِقَةً بِفَضْلِ اخْتِيَارِكَ ، وَمَعْرِفَةً بِحُسْنِ تَأَتِّيكَ .

---

(١) قرح الفرس فهو قارح : خرج نابه ، ولا يكون له ذلك الا اذا استكمل السن والقوة ، يريد بالجملة أنه استوفى أسباب الكمال .

(٢) الأناة : الوقار والحلم والتمهل .

(٣) الصولة : القدرة والسطوة .

(٤) استرق القلوب : استعبدها .

(٥) لائحة : بادية ظاهرة .

(٦) اضطلع الرجل بحمله فهو مضطلع به نهض به وقوى عليه .

(٧) استنهض بالبناء للمجهول طلب منه النهوض .

(٨) استقل بالشيء : حمله ورفعه ، فهو مستقل به .

(٩) آثره بالشيء : اختصه به وفضله على غيره .

4 من كتاب ألف ليلة وليلة

(٥) من كتاب ألف ليلة وليلة
وهو من أشهر الكتب القصصية وأكبرها

له أصل فارسى يعد نواة له يسمى (هزار افسانه) .

حكاية خالد بن عبد الله القسرى مع الشاب السارق

ومما يُحكَى أنَّ خالد بن عبدالله القسرى كان أمير البصرة . فجاء إليه جماعة متعلقون بشاب ذى جَمَالٍ باهر ، وأدب ظاهر ، وعقل وافر ، وهو حسن الصورة ، لبيب الرائحة ، وعليه سَكِينَة ووقار ، فقدَّمُوه إلى خالد فسألهم عن قصته ، فقالوا هذا لِصٌّ أصبناه[1] البارحة فى منزلنا ، فنظر إليه خالد فأعجبه حسن هيئته ونظافته . فقال : خلّوا عنه[2] . ثم دنا منه ، وسأله عن قصته فقال : إنَّ القومَ صادقُون فِيما قالُوه والأمر على ما ذكروا . فقال له خالدٌ : ما حملك على ذلك وأنت فى هيئةٍ جميلةٍ وصورة حسنةٍ ؟ قال : حَمَلَنى على ذلك الطمعُ فى الدنيا وقضاء الله سبحانه وتعالى . فقال له خالدٌ : ثَكِلَتْكَ أمُّكَ[3] ! أما كان لك فى جمالِ وجهك وكمالِ عقلك وحسن أدبك زاجرٌ يزجرُك عن السرقة . قال : دع عنك هذا أيها الأمير ! وامضِ[4] إلى ما أمر الله تعالى به فذلك بما كسبتْ يَدَاى ، وما الله بظلام للعبيد . فسكت خالدٌ ساعةَ

---

(١) أصبناه : أدركناه .

(٢) خلى عن الأمر بتشديد اللام المفتوحة : تركه .

(٣) ثكلت المرأة ابنها : فقدته ، وهى ثكلى كلمة للدعاء على الانسان ، وقد تستعمل للاعجاب بالرجل . .

(٤) أى نفذه .

يُفكر فى أمر الفتى ، ثم أدناه منْهُ وقال له : إن اعترافَكَ على رءوس الأشهاد قد رابنى وأنا ما أظنك سارقاً ، ولعَلَّ لك قصةً غير السرقة فأخبرنى بها . قال أيها الأمير : لا يقع فى نفسك شىءٌ سوى ما اعترفتُ به عندكَ وليس لى قصةٌ أشرحُها إلا أنى دخلت دار هؤلاءِ فَسَرَقْتُ ما أمكننى ، فأدرَكونى ، وأخذوه منى وحملونى إليك . فأمر خالد بحبسه ، وأمَرَ منادياً ينادى بالبصرة : ألا من أحَبَّ أن ينظرَ إلى عقوبةِ فلانٍ اللص وقطع يده فليحضُرْ مِنَ الغَدَاة إلى المحلِّ الفلانى . فلما استقر الفتى فى الحبس ووضعوا فى رجليه الحديد تنفَّس[1] الصُّعدَاءَ وأفاض العبرات . وأنشد هذه الأبيات :

هَدَّدنِى خالدٌ بقطع يَدِى ... إذ لَمْ أبُحْ عِنْدَهُ بِقصَّتِها

فقُلْتُ هَيْهَاتَ أن أبُوحَ بِمَا ... تَضمَّنَ القلبُ مِنْ مَحبَّتِها !

قطعُ يَدِى بالذى اعترفتُ بهِ ... أهوَنُ لِلقَلْبِ مِنْ فَضِيحَتِها

فَسمِعَ ذلك الْمُوكلُّون بهِ ، فأتَوْا خالداً وأخبرُوهُ بما حَصَلَ مِنْهُ . فلمَّا جَنَّ[2] الليلُ أمَرَ بإحضَارِهِ عندَهُ ، فلما حضرَ استَنْطَقَهُ فرآهُ عاقلاً أديباً فطناً ظريفاً[3] لبيباً . فأمَرَ له بطعامٍ ، فأكلَ وتَحدَّثَ معهُ ساعةً ، ثمَّ قال له خالِدٌ قد عَلِمتُ أنّ لك قِصة غَيْرَ السَّرقَة فإذا كانَ الصَّباحُ وحضرَ الناسُ وحضرَ القاضِى وسألَكَ عن السرقةِ فأنكِرْهَا ، واذْكُرْ ما يَدْرَأُ[4] عنْكَ حَدَّ القَطْعِ ، فَقَدْ قال رسول الله

---

(١) الصعداء : التنفس الطويل من هم أو تعب .

(٢) جن الليل : أظلم .

(٣) فطن للأمر : ادركه وحذق فيه فهو فطن : الظرف : الكياسة والحذق والبراعة . ورجل (ظريف) : بارع كيس .

(٤) يدرأ عنك : يدفع عنك .

صلى الله عليهِ وسلَّمَ : « ادْرَءوا الحُدُودَ بالشُّبُهَاتِ » ثُمَّ أمرَ به إلى السِّجْنِ (وأَدْرَكَ ثَ رْ زَاد الصَّباحُ فسكَتَتْ عَنْ الكلامِ المُبَاحِ) .

(وفى ليلة اثْنَتَيْنِ وأرْبَعِينَ وثَلَثمائةٍ) قالتْ : بَلَغَنِي أيها الملكُ السَّعِيدُ أنَّ خالداً بعدَ أنْ تحدّثَ معَ الشَّاب أَمرَ بهِ إلى السجن فَمَكَثَ فيهِ لَيْلَتَه ، فلمَّا أَصْبحَ الصَّباحُ حَضَرَ الناسُ ينْظُرُونَ قَطْعَ يَدِ الشَّاب ، ولم يَبْقَ أَحَدٌ فى البصرَةَ . ثُمَّ استَدعَى بالقُضَاةِ وأمرَ بإحضَارِ الفَتى ، فأَقْبَلَ يَحْجِلُ[1] فِي قُيُودِهِ ولَمْ يَرَهُ أحدٌ مِنَ النَّاسِ إلَّا بَكَى عَلَيْه ، وارتفعت أصواتُ النساءِ بالنحيب ، فأمرَ القاضى بتَسكيت النِّسَاءِ . ثُمَّ قال : إن هَؤُلَاءِ القَوْمَ يَزْعُمُونَ أنَّكَ دَخَلْتَ دَارَهُمْ وَسَرَقْتَ مَالَهُم فلعلَّكَ سرقْتَ دُونَ النِّصابِ[2] ؟ قَالَ : بَلْ سَرَقْتُ نِصاباً كاملاً . قال : لعلَّكَ شَرِيكُ الْقوْم فِي شىءٍ منه ؟ قال : بل هو جَمِيعُهُ لَهُمْ لا حَقَّ لى فيهِ . فَغَضِبَ خالدٌ ؛ وقَامَ إليهِ بنفسِهِ ، وضَرَبَهُ عَلَى وَجْهِهِ بالسَّوْطِ وقَالَ مُتَمَثِّلاً بهذَا البَيْتِ :

يُرِيدُ المَرْءُ أَنْ يُعطَى مُنَاهُ وَيَأْبَى اللهُ إلَّا مَا يُرِيدُ

ثُمَّ دَعَا بالجزَّارِ ليَقْطَعَ يَدَهُ فَحَضَرَ وأخْرَجَ السكِّينَ ومدَّ يَدَهُ وَوَضَعَ عَلَيْها السكينَ ، فَبَادَرَتْ جاريةٌ من وَسَطِ النِّساء عليها أطمارٌ[3] وسِخَةٌ فصَرَخَتْ ورَمَتْ نفسهَا عليه ، ثم أسفَرت عن وجهٍ كأنّه القَمرُ ، وارتفعَ

---

(١) حجل (يحجل): رفع رجلا ومشى متريثا على الأخرى .

(٢) نصاب السرقة : ما يجب فيه قطع اليد .

(٣) الطمر بكسر الطاء وسكون الميم : الثوب البالى والجمع أطمار .

فى الناسِ ضجةٌ عظيمة ، وكاد أن يقَع بسببِ ذلِك فتنةٌ طائرةُ الشرَرِ ، ثم نادَتْ تلك الجاريةُ بأعلى صوتِهَا ناشدتُك[١] الله أيها الأميرُ ! لا تُعجِّل بالقطعِ حتى تقرأَ هذِهِ الرُّقْعَةَ[٢] ، ثمَّ دفعت إليه رُقعةً ففَتَحها خالدٌ وقرأَهَا فإذا مكتوبٌ فيها هذه الأبياتُ :

أخالدُ هـذا مُستَهامٌ[٣] مُتَيَّمٌ ... رَمَتْهُ لِحَاظى عَنْ قِسِىِّ الحَمَالِقِ[٤]

فأصْمَاهُ[٥] سَهْمُ اللَّحْظِ مِنِّى لأنه ... حَلِيفُ جَوًى[٦] منْ دَائه غير فائق

أقَـرّ بمَا لَمْ يَقْتَرِفْهُ كأَنَّهُ ... رَأَى ذَاكَ خيراً من هَتِيكةِ[٧] عَاشِقِ

فَمَهْلاً عَنِ الصَّبِّ الكَئِيبِ ؛ فإنَّهُ ... كَرِيمُ السَّجَايَا فِى الوَرَى غيرُ سارِقِ

فلما قرأ خالدٌ الأبيات تنحَّى ، وانْفَرَدَ عَن الناسِ ، وأحضرَ المرأة ثمَّ سألَها عَنِ القِصَّةِ فأخبرَتْهُ بأنَّ هَـذَا الفَتَى عاشقٌ لَهـا ؛ وَهِىَ عاشقةٌ له . وإنما أراد زِيَارَتَهَا فتوجَّه إلى دارِ أهْلِهَا وَرَمَى حَجَراً فِى الدارِ لِيُعلِمَهَا بمَجيئِهِ فسمِعَ أبُوها وإخوَتُها صوتَ الحجرِ فصعِدُوا إليهِ . فلما أحَسَّ بهم جَمَعَ قُمَاشَ[٨] البَيْتِ كلَّهُ وأراهم أنَّهُ سَارِقٌ

---

(١) ناشده الله : استحلفه واقسم عليه بالله .

(٢) الرقعة هنا : القطعة من الورق التى يكتب فيها .

(٣) مستهام : مخلوب العقل من الحب .

(٤) حملاق العين بضم الحاء وسكون الميم : وحلاقها بكسر الحاء باطن أجفانها ، والجمع حمالق وحماليق والمراد نفس العيون .

(٥) أصمى الصيد : رماه فقتله مكانه وهو يراه .

(٦) الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق . والحليف : الملازم . يقال فلان حليف جود أى ملازم للجود .

(٧) الهتيكة : الفضيحة .

(٨) قماش البيت : امتعته .

سَتراً عَلَى معشُوقَتِه . فلما رأَوهُ على هذِهِ الحَالَةِ أخَذوهُ . وقالُوا : هَذَا سارِقٌ . وأتَوا بهِ إليك فاعتَرَف بالسرقَةِ وأصَرَّ على ذَلِكَ حتى لا يَفْضَحَنِى ، وقَدْ ارتكَبَ هَذِه الأُمُورَ مِنْ رَمى نَفْسِه بالسَّرقةِ لِفَرْطِ مُرُوءتِه ، وَكَرمِ نَفْسِه ، فقالَ خالدٌ : إنَّهُ لخَليقٌ بأَنْ يُسْعَفَ بمُرَادِه ، ثمَّ استدْعَى الفَتَى إلَيْهِ فقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وأَمَرَ بإحْضَارِ أبى الجَارِيَةِ ، وقَالَ لَهُ : يَا شَيْخُ ، إنَّا كُنَّا عَزَمْنَا عَلَى إنْفَاذِ الْحُكم فى هَذَا الْفَتَى بالقَطْعِ ، ولكنَّ الله عزَّ وجَلَّ قَدْ حَفِظَهُ مِنْ ذَلِكَ . وقَدْ أَمَرْتُ لَهُ بعَشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ لِبَذلِهِ يَدَهُ حِفْظاً لِعرضكَ وعِرْضِ بِنْتِكَ وصِيانَتِكُما مِنَ الْعَار . وقَدْ أَمَرْتُ لِابْنَتِكَ بعَشَرَةِ آلافِ دِرْهَم حَيْثُ أَخْبَرْتِنى بحَقِيقَةِ الأَمْرِ . وأنَا أَسْأَلُكَ أَن تَأْذَنَ لِى فى تَزْويجِهَا مِنْهُ ، فقَالَ الشيخُ : أيها الأميرُ ! قد أذِنتُ لَكَ فى ذلكَ ! فَحَمِدَ اللهَ خالدٌ وأثنَى عَلَيْهِ ، وخَطَبَ خُطْبَةً حَسَنَةً ، (وأدْرَكَ شهر زَادَ الصَّبَاحُ فسَكَتَتْ عَنْ الكلامِ المُبَاح) .

5 مروان بن أبي حفصة

(٣) مروان بن أبى حفصة[٣]

قال يمدح المهدى ويحتج لبنى العباس :

طرقتكَ زائرةً فحَيِّ خَيالَهـا ... بيضاء تخلِطُ بالجَمالِ دَلالَهَا[٤]

قادت فؤادَكَ فاستقادَ ومثلُها ... قادَ القلوبَ إلى الصِّبا فأمالها[٥]

فـكأنما طرقتْ بنَفحةِ رَوضَةٍ ... سحَّت بها دِيَمُ الربيعِ طِلاَلَهَا[٦]

باتت تسائل فى المنامِ مُعَرِّسا ... بالبيدِ أشعثَ لا يَمَلُّ سُؤالَهَا[٧]

فى فتية هجعوا غِراراً بعدما ... سَئموا مُراعَشة السُّرى ومطَالَهَا[٨]

---

(١) كسا الجنوب : أى كساهم من اطلاق الجزء وارادة الكل .

(٢) انبرى له : اعترضه ، ويريدبوصيه ووليه على بنأبى طالب . جرعوه العلقم : سقوه المر.

(٣) هو مروان بن سليمان بن يحي بن أبى حفصة . كان جده فارسيا ومولى لعثمان بن عفان ثم وهبه عمثان لمروان بن الحكم . وقد نشأ مروان بن أبى حفصة فى آخر دولة بنى أمية ولكنه لم يشتهر الا فى دولة بنى العباس بمدحه المهدى ومعن بن زائدة الشيبانى وهارون الرشيد . وقد برع مروان فى المدح براعة عظيمة ويحسبونه فى ذلك من طبقة بشار ويعدونه من فحول الشعراء وقد توفى سنة ١٨١ هـ .

(٤) يقال طرق فلان القوم : أتاهم ليلا .

(٥) استقاد : انقاد . والصبا بكسر الصاد : الشوق .

(٦) سح الغمام المطر : صبه صبا متتابعا غزيرا . والديم جمع ديمة : وهى المطر الذى يدوم بلا رعد . ولعل المراد هنابديم الربيع سحبه . والطلال : جمع طل وهو المطر الضعيف. يريد أنها عند زيارتها كان يفوح من طيب ريحها مثل ما يفوح من الروضة رواها المطر فى الربيع .

(٧) المعرس بضم الميم وتشديد الراء المكسورة. يقال عرس القوم : نزلوا من السفر للاستراحة والبيد جمع بيداء وهى الفلاة . والأشعث : المغبر يريد نفسه .

(٨) يقال : نام غرارا أى نوما قليلا . والسرى : السير فى الليل . ويقال للناقة التى تتهتز فى السير لرعشها : رعشاء ومطالها : مطلها وتسويفها فى الوصول الى المقصد لطول الطريق. يقول انهم ناموا نوما خفيفا بعد أن سئموا طول السير والاهتزاز بسرعة النوق .

فكأنَّ حشوَ ثيابهم هنديةٌ نَجلتْ وأغفلت القُيُونُ صقالها (١)

طَلَبَتْ أميرَ المؤمنينَ فَواصَلَتْ بَعد السُّرَى بغُدُوِّها آصالها (٢)

نَزَعَتْ اليْكَ صَوَادِياً فَتَقَاذَفتْ تطْوى الفَلاَةَ : حُزُونَها و رِمالها (٣)

أحْيَا أميرُ المؤمنينَ مُحمَّدٌ سُنَنَ النبى حَرامَها وَحلالها (٤)

مَلِكٌ تَفَرَّعَ نبعةً من هَاشِمٍ مَدَّ الإلهُ على الأَنَام ظِلالها (٥)

ثَبْتٌ على زلل الحَوَادِثِ رَاكِبٌ مِنْ صَرْفِهِنَّ لِكل حال حَالها (٦)

كِلْتا يَدَيْكَ جَعَلتَ فَضْلَ نَوَالها لِلمُسْلِمينَ و لِلعَدُوِّ وبَالها (٧)

هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّماءِ نُجومَهَا بأَكُفِّكم أمْ تَحجُبونَ هِلالها (٨)

---

(١) الهندية : السيوف المصنوعة فى الهند لأنها كانت تجيد صناعتها . ونجلت من باب علم : هزلت ورقت . والقيون : جمع قين وهو الحداد . والصقال : الصقل يقال صقل السيف جلاه وكشف صدأه يريد أنهم أمسوا من شدة التعب وطول السفر ناحلين مهزولين حتى كانوا فى رقة أجسامهم واغبرارها كالسيوف الهندية التى لم تجل ولم يكشف عنها صدؤها .

(٢) طلبته : قصدت اليه . والغدو أول النهار . والآصال : جمع أصيل وهو الوقت بين العصر والمغرب . يقول انها بعد سير الليل كانت تسير النهار بطوله .

(٣) الصوادى : الشديدة الظمأ . يقال : صدى يصدى من باب علم أى عطش عطشا شديدا والحزون : جمع حزن بفتح الحاء ، والحزن ضد السهل .

(٤) يريد باحيائه حلال السنن وحرامها ابانة ما أحلت السنن وما حرمت والعمل بذلك .

(٥) النبعة : واحدة شجر النبع . ويقال : هو من نبعة كريمة أى من أصل كريم . وتفرع فلان القوم : علاهم .

(٦) الثبت بفتح الثاء وسكون الباء : هنا الثابت . وزلل الحوادث .انحرافها وصرف الدهر : نوازله . يقول : انه مهما تضطرب حوادث الزمان فهو ثابت لا يتزلزل ، وأنه يعالج كل حادثة بما يناسبها . وهذا هو الذى عبر عنه بقوله : (راكب لكل حال حالها) .

(٧) النوال : العطاء . والوبال : الوخامة وسوء العاقبة .

(٨) التفت فى هذا البيت الى خطاب العلويين ليبطل دعواهم استحقاق الخلافة دون بنى العباس.

أَمْ تَجْحَدُون مقَالَةً عن رَبِّكُمْ جبْرِيلُ بَلَّغَهَا النّبىَّ فَقَالَهَا (١)

شَهِدَتْ من الأَنْفَالِ آخرُ آيةٍ بِتُرَاثِهِمْ فأردتمـوا إِبطَالَهَا (٢)

---

(١) تجحدون ، الجحود : الانكار مع العلم .

(٢) التراث : مايتركه الميت لورثته. ويعنى بآخر آية من سورة الأنفال قول الله تعالى : «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » .

6 ابن المعتز يصف سحابة

وقال يصف سحابة :

وَسَارِيَةٍ لا تَمَلُّ الْبُكَا جَرَى دَمعُها فى خُدودِ الثَّرَى (٤)

سرت تقدَحُ الصُّبحَ فى ليلِها بِبَرقٍ كهِنْدِيَّةٍ تُنْتَضَى (٥)

فلمَّا دنَتْ جلْجَلتْ فى السما ءِ رعدًا أجَشَّ كجِرْس الرّحا (٦)

ضَمَانٌ عليها ارْتِدَاعُ اليَفَاعِ بأنوارِهَا واعتِجَارُ الرُّبَا (٧)

فَمَا زالَ مَدمَعُها باكِياً عَلَى الترب حَتَّى اكتسَى مَا اكتسَى (٨)

فأضحتْ سَوَاءً وجوهُ البلادِ وَجُنَّ النَّبَاتُ بها والتقى (٩)

---

(١) أى أن أنقاض المدينة تستخرج كما تستخرج عظام الفيل للانتفاع بها .

(٢) أناف : أطل وأشرف . غدا بكر . المدام : الخمر . يدعو الى الشراب بعد الحرمان منه طول رمضان .

(٣) الزورق : السفينة الصغيرة . يشبه الهلال وسط الظلمة بزورق فضى حولته العنبر تشبيه تمثيل .

(٤) السارية : السحابة تسرى ليلا . ويريد بالبكاء الأمطار . الثرى : الأرض .

(٥) تقدح : تبرق . والأصل قدح بالزند : حاول اخراج النار منه . هندية : سيوف منسوبة الى الهند ، لأنها كانت تجيد طبعها . تنتضى : تستل . يقول ان برقها يلمع فى الليل كأنه صباح، والبرق يشبه السيوف المصلتة شكلا وبريقا .

(٦) جلجلت : رعدت . أجش : غليظا . الجرس : الصوت .

(٧) اليفاع : مارتفع من الأرض . الاعتجار : لف العمامة . الربا جمع ربوة : الأرض المرتفعة . الأنوار جمع نور بفتح النون . الزهر . كأن السحابة تكفلت باكتساء الأرض بالأزهار .

(٨) اكتسى ما اكتسى : أى اكتسى رداء جميلا .

(٩) وجوه البلاد : جوانبها ونواحيها . جن النبات : زكا وطال .

موشح لابن الخطيب (٢)

جادَك الغيث إذا الغَيْثُ هَمَى يا زمانَ الوَصْل بالأَندلُس
لم يكن وصلُك إلا حُلُمَا فى الكَرى أو خِلْسة المختلس

* * *

إذ يَقُودُ الدَّهرُ أشتاتَ المُنى تَنْقُل الخطْوَ على ما يَرْسمُ
زُمَرًا بين فُرَادَى وثُنَى مثلما يدعو الوُفودَ المَوْسِمُ
والحَيَا قد جَلَّلَ الرَّوضَ سَنَى فثُغور الزهر منه تَبْسِم

* * *

وروَى النُّعْمَانُ عن ماء السما كيف يَروِى مالكٌ عن أَنَس (٣)

---

(١) أى أن الجيش الفاتح لا يأخذ كل الغنيمة بل يكون خمسها للدولة تنفقه فى مصالح الناس وصدقاتهم .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد الغرناطى الأندلسى المعروف بلسان الدين بن الخطيب وزير بنى الأحمر ملوك غرناطة . وكان وزيرا لأبى الحجاج يوسف من عظماء ملوكهم ، ثم لابنه ، فاتهم بالخيانة فى السياسة وبالزندقة ، ففر الى المغرب ، وسعى أعداؤه به حتى أسلموه فقتل سنة ٧٩٠هـ وكان شاعرا كاتبا مؤرخا فقيها متفلسفا . وله عدة كتب وشعر رقيق وكتابة يروى صاحب نفح الطيب وصاحب صبح الأعشى منها كثيرا .

(٣) فى النعمان وماء السماء تورية ؛ اذ النعمان أما شقائق النعمان لزهر أحمر ، وهو المراد هنا ، وماء السماء هو هنا المطر ، وأما النعمان وماء السماء من ملوك الحيرة اللخميين والثانى جد الأول وهما غير مرادين هنا . ومالك هو الامام مالك بن أنس امام المذهب المشهور . والمعنى أن بين شقائق النعمان والمطر من النسبة مابين مالك وأبيه أنس من أن الأول فى كلا الجانبين ابن للثانى وناشىء عنه .

فكساه الحسنُ ثَوْباً مُعلماً يزدَهِي منهُ بأبهَى ملبَسِ

* * *

في ليالٍ كَتَمَتْ سرَّ الهوَى بالدُّجَى لولا شُموسُ الغُرَرِ
مالَ نَجْمُ الكأْس فيها وهوى مستقيمَ السَّيْرِ سَعْدَ الأَثَرِ
وطَرٌ ما فيه من عيْب سِوَى أنه مَرَّ كلَمحِ البَصَرِ

* * *

حينَ لذّ الأنْسُ شيئاً أركما هجمَ الصبْحُ هجُومَ الحَرِسِ
غارت الشُّهبُ بنا أوْ رُبَّما أَثَّرَتْ فينا عيونُ النَّرْجِسِ

يا ليلُ الصبُّ متى غدُه * أقيامُ السَّاعةِ مَوْعِدُهُ

رقدَ السُّمَّارُ فأَرَّقه * أسفٌ للبيْنِ يردّدهُ

فبكاهُ النجمُ ورقَّ له * ممّا يرعاه ويرْصُدُهُ

كلِفٌ بغزالٍ ذِي هَيَفٍ * خوفُ الواشينِ يشرّدُهُ

نصَبتْ عيناي له شرَكاً * في النّومِ فعزَّ تصيُّدُهُ

وكفى عجباً أَنّي قنصٌ * للسّرب سبانِي أغْيَدُهُ

صنمٌ للفتنةِ منتصبٌ * أهواهُ ولا أتعبَّدُهُ

صاحٍ والخمرُ جَنَى فمِهِ * سكرانُ اللحظ مُعربِدُهُ

ينضُو مِنْ مُقْلتِه سيْفاً * وكأَنّ نُعاساً يُغْمدُهُ

فُيريقُ دمَ العشّاق به * والويلُ لمن يتقلّدُهُ

كلّا لا ذنْبَ لمن قَتَلَتْ * عيناه ولم تَقتُلْ يدهُ

يا من جَحَدتْ عيناه دمِي * وعلى خدَّيه توَرُّدُهُ

خدّاكَ قد اِعْتَرَفا بدمِي * فعلامَ جفونُك تجْحَدُهُ

إنّي لأُعيذُكَ من قَتْلِي * وأظُنُّك لا تَتعمَّدُهُ

باللّهِ هَبِ المشتاق كَرَى * فلعَلَّ خيالَكَ يِسْعِدُهُ

ما ضَرَّكَ لو داوَيْتَ ضَنَى * صَبٍّ يُدْنيكَ وتُبْعِدُهُ

لم يُبْقِ هواكَ له رَمَقا * فلْيَبْكِ عليه عُوَّدُهُ

وغداً يَقْضِي أو بَعْدَ غَدٍ * هل مِنْ نَظَرٍ يتَزَوَّدُهُ

يا أهْلَ الشوقِ لنا شَرَقٌ * بالدّمعِ يَفيضُ مَوْرِدُهُ

يهْوى المُشْتاقُ لقاءَكُمُ * وظروفُ الدَّهْرِ تُبَعِّدُهُ

ما أحلى الوَصْلَ وأَعْذَبَهُ * لولا الأيّامُ تُنَكِّدُهُ

علي بن عبد الغني الفهري الحصري، أبو الحسن

«شاعر مشهور، له القصيدة التي مطلعها: " يا ليل الصب متى غده " كان ضريرا، من أهل القيروان، انتقل إلى الأندلس ومات في طنجة. اتصل ببعض الملوك ومدح المعتمد ابن عباد بقصائد، وألف له كتاب " المستحسن من الأشعار ". وله " ديوان شعر " بقي بعضه مخطوطا، و " اقتراح القريح واجتراح الجريح – خ " مرتب على حروف المعجم، في رثاء ولد له، و "معشرات الحصري – خ " في الغزل والنسيب، على الحروف، و " القصيدة الحصرية – خ " في القرآآت ٢١٢ بيتا. وهو ابن خالة إبراهيم الحصري صاحب زهر الآداب. وللجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي كتاب في عصره وسيرته ورسائله وشعره سمياه " أبو الحسن الحصري القيرواني – ط " في تونس (١)»

[الأعلام للزركلي ٤/ ٣٠١]

المنتصف الثاني

1 حاتم الأصم وابنته

حُكِيَ أن حاتمًا الأصم كان رجلًا كثير العيال، وكان له أولاد ذكور وإناث، ولم يكن يملك حبة واحدة، وكان قدمه التوكل فجلس ذات ليلة مع أصحابه يتحدث معهم، فتعرضوا لذكر الحج، فداخل الشوق قلبه، ثم دخل على أولاده، فجلس معهم يحدثهم، ثم قال لهم: لو أذنتم لأبيكم أن يذهب إلى بيت ربّه في هذا العام حاجًا، ويدعو لكم ماذا عليكم لو فعلتم؟ فقالت زوجته وأولاده: أنت على هذه الحالة لا تملك شيئًا ونحن على ما ترى من الفاقة، فكيف تريد ذلك ونحن بهذه الحالة؟ وكان له ابنة صغيرة فقالت: ماذا عليكم لو أذنتم له ولا يهمكم ذلك، دعوه يذهب حيث شاء، فإنه مناول للرزق، وليس برزاق، فذكرتهم ذلك، فقالوا: صدقت والله هذه الصغيرة يا أبانا انطلق حيث أحببت.

فقام من وقته وساعته وأحرم بالحج، وخرج مسافرًا، وأصبح أهل بيته يدخل عليهم جيرانهم يوبخونهم كيف أذنوا له بالحج، وتأسف على فراقه أصحابه وجيرانه، فجعل أولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون: لو سكت ما تكلمنا. فرفعت الصغيرة طرفها إلى السماء، وقالت: إلٰهي وسيدي ومولاي عودت القوم بفضلك وأنك لا تضيعهم فلا تخيبهم، ولا تخجلني معهم، فبينما هم على هذه الحالة إذ خرج أمير البلدة متصيدًا، فانقطع عن عسكره وأصحابه، فحصل له عطش شديد، فاجتاز ببيت الرجل الصالح حاتم الأصم، فاستسقى منهم ماء، وقرع الباب فقالوا: مَن أنت؟ قال: الأمير ببابكم يستسقيكم، فرفعت زوجة حاتم رأسها إلى السماء وقالت: إلٰهي وسيّدي سبحانك البارحة بتنا جياعًا، واليوم يقف الأمير على بابنا يستسقينا، ثم إنها أخذت كوزًا جديدًا وملأته ماء، وقالت للمتناول منها: اعذرونا، فأخذ الأمير الكوز وشرب منه، فاستطاب الشرب من ذلك الماء فقال: هذه الدار لأمير؟ فقالوا: لا والله بل لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الأصم.

فقال الأمير: لقد سمعت به، فقال الوزير: يا سيدي لقد سمعت أنه البارحة أحرم بالحج وسافر ولم يخلف لعياله شيئًا، وأخبرت أنهم البارحة باتوا جياعًا،

فقال الأمير: ونحن أيضًا قد ثقلنا عليهم اليوم، وليس من المروءة أن يثقل مثلنا على مثلهم، ثم حل الأمير منطقته من وسطه ورمى بها في الدار، ثم قال لأصحابه: مَن أحبني، فليلق منطقته، فحل جميع أصحابه مناطقهم ورموا بها إليهم، ثم انصرفوا، فقال الوزير: السلام عليكم أهل البيت، لآتينكم الساعة بثمن هذه المناطق، فلما أنزل الأمير رجع إليهم الوزير، ودفع إليهم ثمن المناطق مالًا جزيلًا واستردها منهم.

فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاءً شديدًا، فقالوا لها: ما هذا البكاء؟ إنما يجب أن تفرحي، فإن الله قد وسع علينا، فقالت: يا أم. والله إنما بكائي كيف بتنا البارحة جياعًا، فنظر إلينا مخلوق نظرة واحدة، فأغنانا بعد فقرنا، فالكريم الخالق إذا نظر إلينا لا يكلنا إلى أحد طرفة عين، اللهمّ انظر إلى أبينا، ودبره بأحسن التدبير، هذا ما كان من أمرهم.

وأما ما كان من أمر حاتم أبيهم، فإنه لما خرج محرمًا ولحق بالقوم توجع أمير الركب، فطلبوا له طبيبًا، فلم يجدوا، فقال: هل من عبد صالح، فدل على حاتم، فلما دخل عليه وكلمه دعا له فعوفي الأمير من وقته، فأمر له بما يركب، وما يأكل، وما يشرب، فنام تلك الليلة مفكرًا في أمر عياله، فقيل له في منامه: يا حاتم من أصلح معاملته معنا أصلحنا معاملتنا معه، ثم أخبر بما كان من أمر عياله، فأكثر الثناء على الله تعالى، فلما قضى حجّه ورجع تلقته أولاده، فعانق الصبية الصغيرة وبكى، ثم قال: صغار قوم كبار قوم آخرين. إن الله لا ينظر إلى أكبركم ولكن ينظر إلى أعرفكم به، فعليكم بمعرفته والاتكال عليه فإنه مَن توكل على الله فهو حسبه.

انتطق الشَّخصُ: شدَّ وسَطَه بحزام يُسمَّى نطاقًا أو مِنْطقة

2 أحمد بن طولون والسيدة نفيسة

قيل: لما ظلم أحمد بن طولون قبل أن يعدل استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه إليها فقالت لهم: متى يركب؟ قالوا: في غد،

فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه وقالت: يا أحمد يا ابن طولون فلما رآها عرفها فترجّل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فإذا فيها ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخوّلتم فعسفتم وردت إليكم الأرزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة لا سيما من قلوب أوجعتموها وأكباد جوعتموها وأجساد عريتموها، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ماشئتم فإنا صابرون وجوروا فإنا بالله مستجيرون واظلموا فإنا إلى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، قال: فعدل لوقته.

3 عند الله تجتمع الخصوم

حُكِيَ أن الحجاج حبس رجلًا في حبسه ظلمًا فكتب إليه رقعة فيها: قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعيمك أيام والموعد القيامة والسجن جهنم والحاكم لا يحتاج إلى بيّنة، وكتب في آخرها:

ستعلم يا نؤوم إذا التقينا ... غدًا عند الإلٰه من الظلوم
أما والله إن الظلم لؤمٌ ... وما زال الظلوم هو الملومُ
سينقطع التلذّذ عن أناسٍ ... أداموه وينقطع النعيمُ
إلى ديّان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصومُ

أهم مراجع هذه المختارات الادبية

١- المنتخب من أدب العرب لمجموعة من المؤلفين
٢- قصص العرب لإبراهيم شمس الدين

4 أقوال وأشعار في الكرم والسخاء

قال بعض العرب لولده: يا بني لا تزهدن في معروف فإن الدهر ذو صروف، فكم راغب كان مرغوبًا إليه، وطالب كان مطلوبًا ما لديه، وكن كما قال القائل:

وعُدّ من الرحمٰن فضلًا ونعمةً عليك إذا ما جاء للخير طالبُ
ولا تمنعنْ ذا حاجةٍ جاء راغبًا فإنّك لا تدري متى أنت راغب

وقال بعضهم:

أبيتُ خميصَ البطن عريان طاويًا وأوثر بالزاد الرفيق على نفسي[٢]
وأمنحه فرشي وأفترشُ الثرى وأجعل سترَ الليل من دونه لبسي
حذارِ أحاديثَ المحافلِ في غدٍ إذا ضمّني يومًا إلى صدره رمسي[٣]

وقال يحيىٰ البرمكي: أعط من الدنيا وهي مقبلة، فإن ذلك لا ينقصك منها شيئًا، وأعط منها وهي مدبرة فإن منعك لا يبقى عليك منها شيئًا، فكان الحسن بن سهل يتعجب من ذلك، ويقول: لله درّه ما أطبعه على الكرم، وأعلمه بالدنيا، وقد أمر يحيىٰ من نظمه فقال:

لا تبخلنّ بدنيا وهي مقبلةٌ فليس يُنقِصها التبذير والسرفُ
فإنْ تولتْ فأحرى أن تجود بها فليس تبقى ولكن شكرها خلف

---

(١) مداخلتي: اللئام والأدعياء من الناس.
(٢) خميص البطن: جوعان. وأوثر: أفضل.
(٣) رمسي: قبري.

وقال يحيىٰ لولده جعفر: يا بني ما دام قلمك يرعد فامطره معروفًا وقال بعضهم:

لا تكثري في الجود لأئمتي وإذا بخلت فأكثري لومي
كفِّي فلست بحاملٍ أبدًا ما عشتُ همّ غدٍ إلى يومي

وقال عليّ رضي الله تعالى عنه وكرّم وجهه: لا تستح من عطاء القليل، فالحرمان أقل منه.

المصدر : قصص العرب ص ٢٥٤-٢٥٥

5 المأمون يمتحن واليًا له

حُكِيَ أن المأمون ولّى عاملًا على بلاد، وكان يعرف منه الجور في حكمه، فأرسل إليه رجلًا من أرباب دولته ليمتحنه، فلما قدم عليه أظهر له أنه قدم في تجارة لنفسه، ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عنده علم منه، فأكرم نزله وأحسن إليه، وسأله أن يكتب كتابًا إلى أمير المؤمنين المأمون يشكر سيرته عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين رغبة، فكتب كتابًا فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين: أما بعد، فقد قدمنا على فلان، فوجدناه آخذًا بالعزم، عاملًا بالحزم، قد عدل بين رعيته، وساوى في أقضيته، أغنى القاصد، وأرضى الوارد، وأنزلهم منه منازل الأولاد، وأذهب ما بينهم من الضغائن والأحقاد، وعمر منهم المساجد الدائرة، وأفرغهم من عمل الدنيا، وشغلهم بعمل الآخرة، وهم مع ذلك داعون لأمير المؤمنين يريدون النظر إلى وجهه والسلام. فكان معنى قوله: آخذًا بالعزم، أي إذا عزم على ظلم أو جور، فعله في الحال، وقوله: قد عدل بين رعيته وساوى في أقضيته، أي أخذ كل ما معهم حتى ساوى بين الغني والفقير، وقوله: عمر منهم المساجد الدائرة، وأفرغهم من عمل الدنيا، وشغلهم بعمل الآخرة، يعني أن الكل صاروا فقراء لا يملكون شيئًا من الدنيا، ومعنى قوله: يريدون النظر إلى وجه أمير المؤمنين، أي ليشكوا حالهم وما نزل بهم. فلما جاء الكتاب إلى المأمون عزله عنهم لوقته، وولّى عليهم غيره.

المصدر : قصص العرب ٢٧١/٢

6 إخلاص زوجة

حُكِيَ أن بعض الملوك طلع يومًا إلى أعلى قصره يتفرّج، فلاحت منه التفاتة، فرأى امرأة على سطح دار إلى جانب قصره لم ير الراؤن أحسن منها، فالتفت إلى بعض جواريه، فقال لها: لمنْ هذه؟ فقالت: يا مولاي هذه زوجة غلامك فيروز، قال: فنزل الملك وقد خامره حبها، وشغف بها، فاستدعى بفيروز، وقال له: يا فيروز، قال: لبيك يا مولاي، قال: خذ هذا الكتاب وامضِ به إلى البلد الفلانية، وائتني بالجواب، فأخذ فيروز الكتاب، وتوجّه إلى منزله، فوضع الكتاب تحت رأسه، وجهّز أمره، وبات ليلته، فلما أصبح ودع أهله وسار طالبًا لحاجة الملك، ولم يعلم بما قد دبره الملك، وأما الملك فإنه لما توجه فيروز قام مسرعًا وتوجه متخفيًا إلى دار فيروز، فقرع الباب قرعًا خفيفًا، فقالت امرأة فيروز: مَن بالباب؟ قال: أنا الملك سيد زوجك، ففتحت له، فدخل وجلس، فقالت له: أرى مولانا اليوم عندنا، فقال: زائر. فقالت: أعوذ بالله من هذه الزيارة، وما أظن فيها خيرًا، فقال لها: ويحك إنني الملك سيد زوجك، وما أظنك عرفتني فقالت: بل عرفتك يا مولاي، ولقد علمت أنك الملك، ولكن سبقتك الأوائل في قولهم:

سأترك ماءكم من غير وردٍ[1] وذاك لكثرة الورَّاد فيه
إذا سقط الذباب على طعامٍ رفعت يدي ونفسي تشتهيهِ

---

(١) ورد: أي من غير أن أتذوقه وأشربه.

وتجنب الأسودُ ورودَ ماءٍ إذا كان الكلاب وَلَغْنَ[1] فيه
ويرتجع الكريم خميصَ بطنٍ[2] ولا يرضى مساهمة السفيه

وما أحسن يا مولاي قول الشاعر:

قلْ للذي شَفَّهُ الغرامُ بنا وصاحبِ الغدر غير مصحوب
واللهِ لا قال قائلٌ أبدًا قد أكلَ الليثُ فضلةَ الذيبِ

ثم قالت: أيها الملك تأتي إلى موضع شرب كلبك تشرب منه، قال: فاستحيا الملك من كلامها وخرج وتركها، فنسي نعله في الدار، هذا ما كان من الملك. وأما ما كان من فيروز، فإنه لما خرج وسار تفقد الكتاب، فلم يجده معه في رأسه، فتذكر أنه نسيه تحت فراشه، فرجع إلى داره، فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره، فوجد نعل الملك في الدار، فطاش عقله، وعلم أن الملك لم يرسله في هذه السفرة إلا لأمر يفعله، فسكت ولم يبد كلامًا، وأخذ الكتاب، وسار إلى حاجة الملك، فقضاها، ثم عاد إليه، فأنعم عليه بمائة دينار، فمضى فيروز إلى السوق، واشترى ما يليق بالنساء، وهيأ هدية حسنة وأتى إلى زوجته، فسلّم عليها، وقال لها: قومي إلى زيارة بيت أبيك، قالت: وما ذاك؟ قال: إن الملك أنعم علينا وأريد أن تظهري لأهلك ذلك، قالت: حبًا وكرامة، ثم قامت من ساعتها، وتوجهت إلى بيت أبيها، ففرحوا بها، وبما جاءت به معها، فأقامت عند أهلها شهر، فلم يذكرها زوجها ولا ألم بها، فأتى إليه أخوها، وقال له يا فيروز: إما أن تخبرنا بسبب غضبك، وإما أن تحاكمنا إلى الملك، فقال: إن شئتم الحكم، فافعلوا، فما تركت لها عليَّ حقًا، فطلبوه إلى الحكم، فأتى معهم، وكان القاضي إذ ذاك عند الملك جالسًا إلى جانبه، فقال أخو الصبية: أيّد الله مولانا قاضي القضاة إني أجرت هذا الغلام بستانًا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة، وأشجار مثمرة، فأكل ثمره، وهدم حيطانه، وأخرب بئره، فالتفت القاضي إلى فيروز، وقال له: ما تقول يا غلام؟ فقال فيروز: أيها القاضي قد تسلمت هذا البستان وسلمته إليه أحسن ما كان، فقال القاضي: هل سلم إليك البستان كما كان؟ قال: نعم، ولكن أريد منه السبب لرده. قال القاضي: ما قولك؟ قال: والله يا مولاي ما رددت البستان كراهة فيه، وإنما جئت يومًا من الأيام، فوجدت فيه أثر

---

(١) ولغن: شربن.
(٢) خميص بطن: جائعًا.

الأسد، فخفت أن يغتالني، فحرمت دخول البستان إكرامًا للأسد، قال: وكان الملك متكئًا فاستوى جالسًا، وقال: يا فيروز ارجع إلى بستانك آمنًا مطمئنًا، فوالله أن الأسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرًا، ولا التمس منه ورقًا، ولا ثمرًا ولا شيئًا، ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة، وخرج من غير بأس، ووالله ما رأيت مثل بستانك، ولا أشد احترازًا من حيطانه على شجره، قال: فرجع فيروز إلى داره، ورد زوجته، ولم يعلم القاضي ولا غيره بشيء من ذلك والله أعلم.

المصدر : قصص العرب ٢ / ٢٧٢ - ٢٧٤

7 أبو الأسود الدؤلي وزوجته

قال أبو محمد القُشَيْرِيّ:

كان أبو الأسود الدُّؤلي من أكبر الناس عند معاوية بن أبي سُفيان، وأقربِهم مجلِسًا، وكان لا ينطِقُ إلا بعقْل، ولا يتكلّمُ إلا بَعْدَ فهْم.

فبينما هو ذاتَ يوم جالسٌ، وعنده وجوهُ قريش وأشرافُ العرب، إذ أقبلتْ امرأة أبي الأسود حتى حاذتْ معاوية وقالت: السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته؛ إنَّ الله جعلك خليفةً في البلاد، ورَقيبًا على العباد؛ يُسْتَسْقَى بك المَطَرُ، ويُسْتَنْبَتُ بك الشَّجَر، وتُؤلَّفُ بك الأهْواء، ويأمَنُ بك الخائف، وَيُرْدَع بك الجَانِفُ[٢]، فأنت الخليفة المُصْطَفى، والإمامُ المُرْتضى، فأسألُ الله لك النّعمة في غير تغيير، والعافيةَ من غير تعْذِير[٣]. قد ألجأني إليك يا أميرَ المؤمنين أمرٌ ضاق عليّ فيه المَنْهَجُ، وتفاقَم عليّ منه المخْرَج، لأمرٍ كرهتُ عارَه، لمّا خشيتُ إظهارَه؛ فليُنْصِفُنِي أميرُ المؤمنين من الخَصْم، فإني أعوذُ بعَقُوته[٤] من العارِ الوَبِيلِ، والأمر الجليل؛ الذي يشتدُّ على الحرائر ذات البعول الأجائر[٥].

فقال لها معاوية: ومَنْ بعلُك هذا الذي تَصِفِين من أمره المنكر؛ ومن فِعْلِه المشهَّر؟ فقالت: هو أبو الأسود الدُّؤلِيّ.

---

(١) بلاغات: النساء: ٥٣.
(٢) الجانف: المائل.
(٣) تعذير: نقص.
(٤) العقوة في الأصل: ما حول الدار.
(٥) البعول: جمع بعل، وهو الزوج، والأجائر: جمع أجور؛ تفضيل من جار.

فالتفت إليه وقال: يا أبا الأسود؛ ما تقول هذه المرأة؟ فقال أبو الأسود: هي تقولُ من الحق بعضًا، ولن يستطيعَ أحدٌ عليها نَقْضًا، أما ما ذكرتْ من طَلَاقها فهو حقّ؛ وأنا مُخْبرٌ عنه أميرَ المؤمنين بالصَّدْق؛ والله يا أميرَ المؤمنين ما طلَّقْتُها عن رِيبَةٍ طهرتْ، ولا لأيِّ هفوةٍ حضرتْ؛ ولكِن كرهت شمائلَها؛ فقطعتُ عني حَبائلَها.

فقال معاوية: وأيّ شمائلها يا أبا الأسود كَرِهْتَ؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين؛ إنّك مهَيِّجُها عليَّ بجواب عَتِيدٍ[1] ولسانٍ شديد.

فقال معاوية: لا بدَّ لك من محاورتها، فارْدُدْ عليها قولَها عند مراجعتها. فقال أبو الأسود: يا أميرَ المؤمنين؛ إنها كثيرةُ الصَّخَب، دائمة الذَرَب[2]، مهينةٌ للأهل، مُؤذية للبَعْل، مُسِيئةٌ إلى الجار، مُظهِرَة للعار، إنْ رأت خيرًا كتمتْه، وإن رأَتْ شرًّا أذاعته.

فقالت: والله لولا مكانُ أميرِ المؤمنين، وحضورُ مَن حضره من المسلمين، لردَدْتُ عيك بَوَادِرَ كلامِك، بنوافذَ أَقْرَعُ بها كَلّ[3] سِهَامِك؛ وإنْ كان لا يجملُ بالمرأة الحرَّة أن تَشْتمَ بَعْلًا، ولا أن تُظهر لأحد جَهلًا.

فقال معاوية: عزَمْتُ عليكِ لما أجَبْتِه. فقالت: يا أميرَ المؤمنين ما علمتُه إلا سَؤُولًا جَهُولًا، مُلِحًّا بخيلًا[4]، إن قال فشرُّ قائل، وإن سكت فذُودَ غَائل[5]، ليثٌ حين يَأْمَن، وثعلب حين يخاف، شَحِيح حين يُضَاف، إذا ذُكِرَ الجود انْقَمَع؛ لما يعرف من قِصَرِ رِشَائه[6]، ولؤم آبائه، ضَيْفُه جائع، وجارُه ضائع؛ لا يحفَظُ جارًا؛ ولا يَحْمي ذِمَارًا، ولا يُدْرِك ثارًا، أكرمُ الناس عليه مَنْ أهانه، وأهونُهم عليه مَن أكرمه.

فقال معاوية: سبحانَ اللهِ لما تأتي به هذه المرأة من السَّجْع! فقال أبو الأسود: أصلح الله أميرَ المؤمنين؛ إنها مطلَّقة، ومَنْ أكثر كلامًا من مُطلَّقة! ثم قال لها معاوية: إذا كان رَوَاحًا[7] فتعالى أَفصل بينكِ وبينه بالقضاء.

---

(١) عتيد: حاضر.
(٢) الذرب: حدة اللسان.
(٣) يقال: كل السيف؛ إذا لم يقطع، فهو كل وكليل.
(٤) اشتهر أبو الأسود بالبخل، وله في ذلك نوادر.
(٥) الدغائل: جمع دغيلة، والدغيلة: دخل في الأمر مفسد.
(٦) الرشاء في الأصل: الحبل.
(٧) الرواح: العشي.

فلما كان الرَّوَاح جاءت ومعها ابنها قد احْتَضَنَتْهُ؛ فلما رآها أبو الأسود قام إليها لينْتَزِعَ ابنه منها، فقال له معاوية: يا أبا الأسود، لا تُعْجِل المرأة أَنْ تنطِق بحُجَّتها.

قال: يا أميرَ المؤمنين؛ أنا أحقُّ بحملِ ابني منها، فقال له معاوية: يا أبا الأسود دَعْها تَقُلْ. فقال: يا أميرَ المؤمنين، حملتهُ قبل أن تَحْمِلَه. فقالت: صدق والله يا أميرَ المؤمنين، حَمَله خِفا وحملتُهُ ثِقْلًا، إنَّ بطني لوِعاؤُه، وإن ثَدْيي لَسِقاؤُه، وإن حِجْري لَفِنَاؤُه. فقال معاوية: سبحَان الله لما تأتين به! ثم قال لأبي الأسود: إنها قد غَلَبَتْك في الكلام، فتكلّف لها أبياتًا لعلك تغلبُها؛ فأنشأ يقول:

مَرْحبًا بالتي تجورُ علينا ... ثم سَهْلًا بالحامِلِ المحمولِ
أَغلقتْ بابها عليَّ وقالت: ... إن خيرَ النساء ذاتُ البُعولِ
شغلت نفسها على فراغًا ... هل سمعتم بالفارغ المشغولِ!

فأجابته:

ليس مَنْ قال بالصواب وبالحـ ... ـقّ كَمَن جار على مَنَارِ السبيل
كان قديي سقاءَه حين يُضْحى ... ثم حِجْري فناءَه بالأصيل
لست أبغي بواحدي يا ابن حَرْبٍ ... بدلًا ما علمته والخليلِ[1]

فقضى لها معاوية عليه، واحتملَتْ ابنها وانصرفت.

8 جوع كلبك يتبعك

كان أحدُ ملوك حِمْير عنيفًا على أهل مملكته، يَغْصِبُهم أموالهم، وَيَسلُبهم ما في أيديهم، وكانت الكهنة تخبره أنهم سيقتلونه، فلا يحفل بذلك.

وسمعت امرأته أصواتَ السُّؤال؛ فقالت: إني لأرحمُ هؤلاء؛ لما يلقوْن من الجهدِ، ونحن في العيش الرغد، وإني لأخاف عليك أن يصيروا سِباعًا، وقد كانوا لنا أتْباعًا؛ فرد عليها وقال: جَوّع كلْبك يتبعك[٤]!

فلبث بذلك زمانًا، ثم أغزاهم، فغنموا، ولم يقسم فيهم شيئًا، فلما خرجوا من عنده قالوا لأخيه ـ وهو أميرهم: قد ترى ما نحنُ فيه من الجهد، ونحنُ نكره خروجَ الملْكِ منكم ـ أهلَ البيت ـ إلى غيركم؛ فساعدنا على قتل أخيك، واجلِسْ مكانه.

وكان قد عرف بَغْيه واعتداءَه عليهم؛ فأجابهم إلى ذلك؛ فوثبوا عليه فقتلوه! فمرَّ به عامر بن جَذِيمة ـ وهو مقتول ـ وقد سمع بقوله: جَوِّعْ كلبك يتبعك ـ فقال: ربما أكل الكلبُ مؤدِّبه إذا لم ينل شبعَه!

---

(١) ذهبت مثلًا، ويضرب به النجاح والخيبة. (٢) ذهبت مثلاً.

(٣) الأمثال: ١ ـ ١٥٠.

(٤) مثل يضرب في معاشرة اللئام، وما ينبغي أن يعاملوا به.